عنوان البرنامج: معرفة الصحابة والتابعين
الوحدة الثالثة: المؤلفات في الصحابة
الدرس الرابع: كتاب الإصابة في تمييز الصحابة
اسم المحاضر: الدكتور بدر العمراني

كتاب الإصابة في تمييز الصحابة

بعد أن تحدّثنا في الدروس الماضية عن المصادر الأصلية والفرعية لتراجم الصحابة مقرونة بنماذج الكتب المندرجة تحتها. الآن نعرف بأبرز مصدر جامع وهو كتاب الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني(ت852هـ).

وهذا الكتاب جاء بعد النظر في كتب المؤلفين السابقين، وقد صرّح بهم الحافظ في مقدمة الإصابة وانتقد قسما منهم، كابن عبد البر وكتابه الّذي سماه «الاستيعاب» لظنه أنه استوعب ما في كتب السابقين، ومع ذلك ففاته شيء كثير، وذكر الذيول عليه، ثم ذكر كتاب «أسد الغابة» ل «ابن الأثير» وانتقده إلى أن قال: «ثم جرد الأسماء التي في كتابه مع زيادات عليها الحافظ أبو عبد اللّه الذهبيّ، وعلم لمن ذكر غلطا، ولمن لا تصح صحبته، ولم يستوعب ذلك ولا قارب».

فبعد أن رأى أوضاع من سبقه وقوّمها، ارتأى تأليف كتاب جامع، ورتّبه على أربعة أقسام في كل حرف، وهذا يعني أنه قسّم التراجم المبدوءة في حرف الألف مثلا إلى أربعة أقسام، وكذلك الباء والتاء وهلمّ جرا حتّى آخر الحروف.

القسم الأوّل:

خاص بتراجم الذين وردت صحبتهم بطريق الرواية عنهم أو عن غيرهم، ومهما كانت الطريق صحيحة أو حسنة أو ضعيفة، وشملت تراجم هذا القسم أولئك الذين وقع ذكرهم بما يدل على الصحبة بأي طريق كان.

القسم الثّاني:

مخصّص لتراجم من ذكر في الصحابة: من الأطفال الذين ولدوا في عهد النبي صلّى اللّه عليه وسلم لبعض الصحابة من النساء والرجال، وقد مات النبي صلّى اللّه عليه وسلم وهم دون سن التمييز، وبين أن ذكر هؤلاء الصحابة إنما هو على سبيل الإلحاق لغلبة الظنّ على أنه- صلّى اللّه عليه وسلم رآهم، وهذه الفكرة إنما تستند إلى أنّ الصحابة- رضي اللّه عنهم- كانوا حريصين على إحضار أولادهم عنده عند ولادتهم ليُحَنِّكَهُمْ ويُسمّيهم تبركا به.

القسم الثّالث:

خاصّ بتراجم أولئك الذين ذكروا في الكتب من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، ولم يرد في خبر قط أنهم اجتمعوا بالنبيّ صلّى اللّه عليه وسلم ولا رأوه، سواء أسلموا في حياته أم لا. وهؤلاء ليسوا أصحابه باتفاق أهل العلم بالحديث على الرغم من أن بعضهم قد ذكر في كتب معرفة الصحابة، لكن مصنفيها أفصحوا بأنهم لم يذكروهم إلّا بمقاربتهم لتلك الطبقة، ولم يجزموا بأنهم من أهلها.

وأحاديث هؤلاء عن النبي صلّى اللّه عليه وسلم مرسلة بالاتفاق بين أهل العلم بالحديث.

القسم الرّابع:

وهو خاص بتراجم أولئك الذين ذكروا في الكتب على سبيل الوهم والغلط وبيان ذلك بالأدلة وبأسلوب أهل الحديث وطرائقهم.

ولم يذكر فيه إلّا ما كان الوهم فيه بيّنا، وأمّا مع وجود احتمال عدم الوهم فلم يلجأ إلى ذكره، إلّا إذا كان ذلك الاحتمال يغلب على ظنّه بطلانه.وهذا القسم لم يسبق إليه. وقد حقق فيه غرر القواعد، وقرر جملة من الفوائد. قال السخاوي: (وهذا القسم هو المقصودُ بالذَّات مِنْ هذا الكتاب، وقد وقع التنبيه فيه على عجائب يُستغرب وقوعُ مثلها).

إلا أنّه أبى الله أن يصحّ ويكمل كتاب سوى القرآن الكريم.. فالكتاب وقعت فيه أوهام وأخطاء، وخلل في الترتيب، والسبب في ذلك أنه تركه في المسوّدة ولم يتم تبييضه، لذلكبقي مِنه المبهمات، يحيل عليها كثيرا ولا وجود لها بالكتاب.

(**يُنظر**: الإصابة في تمييز الصحابة، والجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي).

والله الموفق للخير والهادي. والحمد لله رب العالمين.